المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعـة سيدي بلـعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلـد 14 -- العدد 02 -- ديسمبر 2022 ص 27 - 50

مؤسسات الإفتاء الرسمية وغير الرسمية وأعلامها في تلمسان خلال العهد العثماني

The Official and unofficial Ifta institutions and their flags in Tlemcen during the Ottoman era

محمد بومدين - طالب دكتوراه boumedinem999@gmail.com	تاريخ المغرب العربي الحديث	قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد. تلمسان./ الجزائر

DOI :

الإرسال: 2022/03/29 **القبول**: 2022/10/12 **النشر**: 2022/12/22

ملخص:

تعتبر مؤسسات الإفتاء في تلمسان ما بين **962هـ/ 1554م . 1252هـ/ 1844م**، من بين أهم الصروح الدينية التي اشتهرت بها هذه الأخيرة، سواء في قلب مدينتها، أم في أحوازها ومداشرها وقراها...، بحكم طبيعة المجتمع التلمساني الذي كانت مرتكزاته الحياتية في يومياتها ترتكز على الفتاوى الشرعية، التي اختصت في الفصل في المنازعات الاجتماعية والدينية ومختلف النوازل الفقهية، من خلال إبداء الرأي الشرعي في جزئياتها من جانب أعلامها العلماء والفقهاء الذين كانت ترد عليهم قضايا اجتماعية ودينية متنوعة مثل الطلاق أو المعاملات التجارية وغيرها...، لتشكل بذلك تلك المراكز العلمية ذات الصبغة الدينية أدوارًا اجتماعية هامة وضرورية، من قبل الكثير من الشخصيات العلمية البارزة، والمنتمية لبيوتات علمية أصيلة بتلمسان، دونت أخبارها الدينية وأدوارها العلمية في الفترة المدروسة، مختلف المصادر المعاصرة لها، في إطار أنشطتهم الدؤوبة بمؤسسات الإفتاء الرسمية كالمساجد ومجالس القضاء...، وغير الرسمية كالأسواق، والأحياء ...، الّتي جعلوا منها مراتع لإصدار الفتاوي، حاملين بذلك لواء العطاء الفكري والعلمي بتلمسان على عهد العثمانيين، بالرغم ممَّا كانت تعيشه المدينة المذكورة، من هجرات متتالية لعلمائها إلى الحواضر العلمية بالبلدان الاسلامية.

كلمات مفتاحية: تلمسان؛ الجزائر؛ العهد العثماني؛ الإفتاء؛ البيوتات العلمية.

Abstract:

The fatwa institutions in Tlemcen between **962^{AH} / 1554^{AD} - 1252^{AH} / 1844^{AD}**, are among the most important religious centers for which the latter was famous, whether in the heart of its city, or in its villages... due to the nature of the Tlemcen community whose daily foundations were based on legal fatwas Which specialized in adjudicating social and religious disputes, by expressing the legal opinion in its

parts on the part of its notable jurists who were faced with various social and religious issues such as divorce or commercial transactions and others..., thus forming these scientific centers with important and necessary social roles, from Before many prominent scientific personalities, belonging to authentic scientific houses in Tlemcen, its religious news recorded in the studied period, the various contemporary sources for it, within the framework of their continuous activities in the official fatwa institutions such as mosques and judicial councils ..., and unofficial ones such as markets, and neighborhoods ..., which they made Including places to issue fatwas.

Keywords : Tlemcen; Algeria; the Ottoman era; Fatwas; scientific houses

مقدمة:

ارتسمت معالم الثقافة والفكر في تلمسان عبر العصور مع عدد ليس بالقليل من البيوتات العلمية وأعلامها العلماء، فاسحة بذلك مجال التقميش العلمي الدقيق للباحث الأكاديمي الجاد، الذي يسعى لتقصي تاريخ رجال الفكر بهذه المدينة من الجهابذة المتفاعلين علميًا ودينيًا مع مختلف المستجدات الاجتماعية والدينية، التي كانت تطرأ على الحياة اليومية لسكان مدينة تلمسان خلال الفترة الحديثة؛ بمثل ما كان مع علماء بيت **"الجاديري"**، وبيت **"المرازقة"**، وبيت **"المجاوي"**، وغيرهم...، من بيوتات الفقه، ناهيك عن الكم الكبير من العلماء التلمسانيين الذين شكلوا بأنشطتهم الفقهية في مؤسسات الإفتاء الرسمية وغير الرسمية، أعمدة ثقافية يستند عليها الخاص والعام فيما أشكل عليه في دِينه ودُنياه، وبنتاجهم النوازلي المتواصل أبًا عن جد، أضحوا بالجملة أحد أهم المؤشرات والمعايير الثقافية الّتي تُقاس عليها طبيعة الحياة العلمية ومناهجها الدينية في تلمسان، خصوصًا خلال العهد العثماني الذي شهد ارهاصات نوع من التراجع العلمي النسبي بهذه المدينة، على مستوى الصورولوجيا العامة للعلوم النقلية والعقلية التي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالاجتهادات الفقهية، والنوازل التي برزت بشكل كبير في المجتمع التلمساني، حيث اهتَبلَ فيها علميًا شيوخ تلمسانيين أفنوا زهرة حياتهم في سبيل خدمة العلم والدين.

إن مثل هذه المواضيع، التي تبحث في النشاط العلمي والديني للعلماء في المؤسسات الشرعية، لا شك وأنها تتيح فرصة التعرف أكثر على شيوخ وفقهاء تلمسانيين، دونوا بمواقفهم الحياتية وآراءهم الدينية التي استنبطوها من النصوص الشرعية في مقام الخوض في النازلة الفقهية، أو عبر مشاركتهم في إصدار الفتاوى، أقول؛ من شأنها إزالة

اللثام عن التنظيمات الدينية التي اتبعتها الإدارة العثمانية بشكل رسمي في تسيير وضبط الأوضاع الدينية والمنازعات الاجتماعية، أم الذي اعتاد عليه أهل تلمسان بلجوئهم إلى الشيخ **"المصلح"** الذي لمعت سمعته العلمية كـ: **"فقيه"** و**"مفتي"** استنادًا لرِفعَتِه وعُلو شأنه بين معاصريه من العلماء، كل ذلك كان من شأنه أن يسمح له باقتناص لقب **"سِيدِي الفْقِيه"** الذي ولئن كان شائعًا شيوعًا لا نظير له بتلمسان، بِيَد لم يتحصل عليه إلا النزر القليل من علمائها .

وفي خِضِمّ هذه الطُروحات واشكالاتها المتمحورة حول موضوعنا الموسوم بـ: "**مؤسسات الإفتاء الرسمية وغير الرسمية وأعلامها في تلمسان خلال العهد العثماني**"، حاولنا إبراز تمظهرات الآثار العلمية والفقهية لهؤلاء الجهابذة من العلماء، والكشف والإبانة عن بصماتهم الفقهية خلال الفترة المحصورة ما بين **962هـ/ 1554م** حتى **1252هـ/ 1844م**، في وضعية طلبية تفرض علينا اعتماد أسس المنهج السردي التحليلي، ونمطيته القائمة على الكرونولوجيا التاريخية التي تبدأ من ميلاد العالم الفقيه، وصولاً إلى مأتمه ووفاته، مرورًا بلمساته الفكرية وإسهاماته الدينية، لتحرّي مساراته العلمية وجذورها الأسرية والعائلية، واستجلاء خلفياتها الفكرية، والمؤثرات السياسية المتأثرة بها في العهد العثماني، بتقديم ترجمات لكل عالم **"فقيه"** من علمائها، ونفض الغبار عن اجتهاداته داخل تلمسان، انطلاقًا ممَّا حملته المادة المصدرية المهتمَّة خاصَّة بنقد أخبار معاصريها من النخبة بإيالة الجزائر، على ضوء المستجدات الطارئة على البيئة الثقافية والاجتماعية بتلمسان، وخصائصها الدينية والشرعية، وسُبُل معالجتها دينيًا وشرعيًا زمن العثمانيين.

أولا: الصورولوجيا العامة لمؤسسات الإفتاء والقضاء في إيالة الجزائر على عهد العثمانيين:

لقد عرف **"القضاء"** كمؤسسة رسمية في إيالة الجزائر تعايشًا متميزًا بين المذهبين الفقهيين المالكي والحنفي. فقد أدخل العثمانيون المذهب الحنفي إلى الإقليم الجديد منذ عام **963هـ/ 1555م**، واعتمدوه في السياسة الشرعية على غرار السلطة العليا في الباب العالي. غير أنهم أفسحوا المجال للمذهب المالكي الذي استقر في المنطقة منذ دخول الإسلام إليها. وهكذا فقد أنشئت محكمتان مالكية وحنفية، تتميز كل منهما بمفتيها

وقاضيها، استجابة لاستقلالية كل مذهب، بينما تأسس **"مجلس علمي"** يضم علماء كلا المؤسستين وينظر في المسائل المشتركة وذات الأهمية القصوى (بن حموش، 2000، ص: 24).

كما تميزت مجالس القضاء ومؤسسات الإفتاء بـ: **"سنجق الجَزَاير"**. كما كان يطلق عليها خلال الفترة الحديثة ـ بمعالجتها اليومية والفورية لقضايا الأفراد والمجتمع، مما كان له الأثر الإيجابي في إدارة بايليكات الجزائر ومدنها، وقد ألحق بهذه الهيئات كذلك جهاز تنفيذي يتمثل في موفدين عسكريين يحضرون الجلسات القضائية ويتولون تنفيذ أحكامها دون توان (بن حموش، 2000، ص: 25).

ولكون بعض القضايا التي كانت تعرض على هذه الهيئات ذات صبغة تخصُّصة، فقد كان القضاة المفتون يستعينون بذوي الحِرف المناسبة لتلك القضايا يعرفون بـ: **"أهل الخبرة"**، فبالإضافة إلى تضلعهم في حِرفهم فقد كانوا يختارون كذلك لسِيرتهم الحسنة وعدالتهم، غير أن آراءهم كانت تقتصر على إبداء الرأي التقني الذي يساعد القاضي والمفتي في النطق بالحكم في المسائل الشرعية (بن حموش، 2000، ص: 25).

1. تعريف المؤسسات الشرعية:

إن الوظائف السلطانية تندرج تحت الخلافة التي تضم الدِّين والدُنيا، كمناصب الإفتاء، والقضاء، والكتابة، والخِطابة، حيث يتعلق الحكم الشرعي بها جميعًا، ويتكلم **"الفقيه"** في مراتبها وشروطها.

2. إشكالية المفهوم بين "الفِقْه" و"الفَقِيهْ":

الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة، أي المُستخرجة من أدلّتها التفصيلية، وبناء على ذلك، فإن **"علم الفقه"** هو علمٌ يكون مَدار البحث فيه مُختصّ بالأحكام الشرعية، وهذه الأحكام مصدرها الأدلة التفصيلية من القرآن والسنة، وغيرها من الاجتهادات الشخصية بما يخدم مصلحة الأمة، والتي تصلح أن تكون دليلاً شرعياً مقبولاً في الشريعة الإسلامية.

ولوجود اختلاف كبير بين مصطلحي **"الفِقْه"** أو **"الفَقِيه"**، فقد فصل فيهما عدد من العلماء من المغرب العربي أم المستشرقين أمثال **"الأب برجيس"** في كتابه **"مذكرات الرحلة بتلمسان"** حيث تطرق للمعنى الدقيق لكلمة **"الفقِيهْ"** بين العامة أو النخبة من سكان تلمسان خلال الفترة العثمانية، حيث أكد أن المصطلح في هذه المدينة كان يقصد به

"العِلمُ" الذي يتعلق بالعلوم الشرعية في الإسلام، والذي يعطي المفهوم نفسه لكلمة "علم"، بمعنى **"التفقه في الشيء"** هو **"التعلم في الشيء"**(Labbe,1859P: 347). وأضاف يقول أن العالم المعتم بأي علم من العلوم يلقب بـ: **"الفقيه"** (Labbe, 1859, P: 347).

ثم أورد "إدموند دوتي" في كتابه **"الصلحاء"** وفي السياق نفسه، أن كلمة **"سِيدِي"** هي الأخرى لها المعنى نفسه لمفهوم **"العالم"** التي كان يقصد بها خلال القرن **13هـ/19م**، في تلمسان "الفْقِيه"، إلا أنها تستعمل عادة لتعني **"وليًا صالحًا"**، وهي تدل على احترام أكثر للعالم الفقيه (دوتي، 2014، ص: 84).

وأورد من جانبه الباحث المقرئ التلمساني **"حمزة بن علال"** في كتابه **"جهود علماء تلمسان في علوم القرآن"**، أن المعلم أم الأستاذ أم الطالب الحَقّ الذي كان يُدَرِس أو يحفظ القرآن وعلومه في تلمسان عبر العصور كان ينعت بالسيد **"الفَقِيه"**(حمزة بن علال، 2019، ص: 47)، لنخلص هنا إلى نتيجة هامة مفادها أن التخصص في أي من العلوم النقلية أو العقلية والتبريز فيه كما أشار له **"الأب برجيس"** يصدق القول في صاحبه **"الفقيه"**.

ثانيا: حركة الفتوى في تلمسان وأعلامها إبان الفترة العثمانية:

1. تعريف الفتوى:

جاء في "القاموس المحيط": **"الفتيا"** و**"الفتوى"**: ما أفتى به **"الفقيه"**، وأفتاه في الأمر: أبانه له (الفيروز أبادي ،2005، ج4، ص375)، وجاء في **"لسان العرب"**: **"الفتوى مشتقة من اسم الفتى، وهو الشاب الحدث الذي شب وقوي، فكأنه يقوي ما أشكل بيانه فيشب ويصير فتياً قوياً"** (ابن منظور ج15، ص: 148).

أما في الاصطلاح، فيمكن تعريف الفتوى بأنها: بيان الحكم الشرعي لمن سأل عنه (البركتي، 2002م، ص: 25).

2. التنظيم الديني والإداري لمؤسسات الإفتاء الرسمية وغير الرسمية في إيالة الجزائر وحاضرة تلمسان العثمانية:

لا جرم علينا القول في مقام الولوج إلى التنظيمات الإدارية والدينية الخاصة بمؤسسات الإفتاء الرسمية وغير الرسمية أن ترتيبها الإداري والدقة في احترامه بتلمسان كان الخاصية البارزة في سلم الإفتاء العثماني بإيالة الجزائر. على ما ندرجه في الآتي:

2 .1. الصلح بين المتخاصمين مظهر من مظاهر الإفتاء في المجتمع التلمساني:

كان الصلح سائدًا بدرجة كبيرة في المجتمع الجزائري عامة والتلمساني خاصة، إلا في القضايا الكبيرة، أما النزاعات البسيطة فقد كان الجزائري يحتقر نفسه إن ذهب من أجلها إلى **"دار القضاء"**، إلا أن ذلك لم يكن يمنعهم من التوجه إلى القضاء عند **"الشيخ المفتي"** المنصب بصفة رسمية من قبل الإدارة العثمانية، وهو ما وقفعنا عليه في وثيقة تسوية نزاع ربما يكون في قضية كبيرة مما حتم على المتخاصمين اللجوء للقضاء، أم هناك استثناء مرتبط بطبيعة الفرد وخصوصيات المكان والزمان. وهي وثيقة أرشيفية مؤرخة يوم **9 رمضان 1220هـ/ 30 نوفمبر 1805م**، نشرها الباحث **"خليفة حماش"** في كشافه المتعلق بالوثائق الأرشيفية، نصها في الموالي: "**وثيقة قضائية. 9 رمضان 1220هـ/ 30 نوفمبر 1805م، تسوية خلاف حول نزاع في تلمسان** (حماش، 2012، ص: 67).

ولم تكن مهمة مؤسسة القضاء والفتوى مقتصرة على الفصل في الخصومات، ولكنها كانت تتعدى ذلك إلى متابعة كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة، وبناء على ذلك، كانت هذه المؤسسات على قدر كبير من الهيبة وتحقيق العدل وتسيير شؤون اليومية للسكان والرعايا، تسييرًا عادلاً، فقد كان القاضي أو المفتي ينظر في تعدي الولاة على الرعية، وفي المال المغصوب، وفي الجور والظلم، والإشراف على الأوقاف، والحكم بين المتخاصمين.

2 ـ2. مؤسسة الجماعة ونظم الإفتاء في مختلف المراكز الدينية بتلمسان العثمانية:

كانت مؤسسة الجماعة تتكون من أعيان وأشراف ومرابطي مدينة تلمسان، تفصل عادة عن طريق الصلح بين الأفراد أو الجماعات، وتعقد جلساتها في الساحات العمومية أو في الأسواق الأسبوعية تحت رئاسة شيخ القبيلة أو أمين نقابة الأشراف إذا كانت القبيلة المتخاصمة منحدرة من أصول شريفة (شويتام، 2009، ص: 456).

وعن نظام سير المحاكة، كان المدعي يطرح شكواه على أمين النقابة أو على شيخ القرية الذي يتولى بدوره طرحها على مجلس الجماعة، لينظر فيها ويبت فيها بالحكم وفق المذهب المالكي بعد أن يستمع الحضور لشهود المتخاصمين، وقد يتم حل القضية نهائيًا كما قد تؤجل إلى جلسة أخرى، أما القضايا المستعجلة فقد كانت تعقد لأجلها جلسة طارئة، لأن المتعارف عليه في عقد الجلسات العادية للجماعة هو أنها كانت تعقد مرة واحدة كل أسبوع.

كما قد تلجأ الجماعات المتخاصمة في حالات عدم الاتفاق إلى محكم لا ينتمي إلى القرى المتخاصمة ممن يرضى عنه مجلس الجماعة، ولم يكن باستطاعة الجماعة أن تقضي بالأحكام الخطرة كالإعدام، الذي كان من اختصاص المجالس العلمية الكائنة بدار السلطان.

والأمثلة كثيرة ولا حصر لها المتعلقة بمؤسسة الجماعة وانشطتها اليومية في الإفتاء والصلح، أشهرها قضية الصلح الواردة عند صاحب **"البستان"** فيما خصصه للحديث وترجمة شيخه أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن اليعقوبي من قبيلة **"أولاد يعقوب بن طلحة"**، وقد ذكر **"ابن مريم"** في شيخه، أنه كان يعقد الصلح بين القبائل، منها ما قام به بين **"أولاد طلحة"**، فقال: «**(...) ومن كراماته ما حدثني به من يوثق به أنه عقد الصلح بين أولاد طلحة**» (ابن مريم، 2014، ص: 264 . 265).

هذا، وقد صالح الشيخ المذكور كذلك بين **"أولاد جبل أترارة"**، استنادًا لما جاء عند **"البطوئي"** في رحلته الموسومة بـ: **"مطلب الفوز والفلاح..."**، الذي ذكر في هذا الصدد: «**(...) ومن كراماته ما حدثني به من يوثق به أنه أتى لترارة يصلح بينهم (...)**» (البطوئي، 2000، ص: 265).

ولما كان **"سيدي يعقوب الفقيه"** شهرة كبيرة في الصلح بين سكان تلمسان، فقد أصبح يستغاث به من قبل الخاص والعام من سكان المدينة المذكورة، وهو ما ورد في مخطوطة أبو زيد عبد الرحمان الجامعي **(ت 1144هـ/1736م)**، التي خصصها لـ: **"شرح أرجوزة شيخه أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني في فتح مدينة وهران"**، عندما قال في شيخه: «**(...) والشيخ بني يعقوب (...) يناجده الحلفاوي من طغيان بني طلحة العربان المتعاونين مع الإسبان**» (الجامعي، (د.ت)، ص: 20/ب).

ويشير أيضا البطوئي في **"مطلب الفوز والفلاح..."** إلى قيام شيخه **"ابن مريم"** بالمصالحة بين أهل **"قرية الحناية"**. بقوله: «**(...) فإذا بأهل الحناية أتوه ليصلح بينهم، وقد كان ارتحل إمامهم، فرغبوه أن يؤم بهم بمسجدهم، قال: فخطر بباله ما رآه في منامه؛ فأجابهم ففرحوا بذلك فرحا شديدا فبقي بينهم حتى أتاه أجله (...)**» (البطوئي، 2000، ص: 287). هذا، ولم يغفل المؤلف السابق الذكر في مؤلفه، ترجمة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن المرابط بن ونيس الصحراوي الحلافي التلمساني **(من علماء**

القرن 11هـ/17م)، المعروف بـ: **"ابن ونيس"** على أنه كان على درجة كبيرة من الوقار العلمي والديني اللذان حصلهما من خلقه وانصافه للحق حتى أمسى فقيهًا مصلحًا ذي شهرة طائرة الآفاق. بقوله: "**(...) ما رأيت عيناي خلقا ولا خلقا وانصافا للحق (...) واجتهادا في اصلاح ذات بين المسلمين (...)**" (البطوئي، 2000، ص: 67).

3.2. مجلس الداي. الباشا. أعلى هيئة حكم في إيالة الجزائر:

كان الشيوخ والفقهاء المصلحون في مؤسسات الجماعة بتلمسان زمن العثمانيين إذا تعذر الأمر وصعب عليهم، ينتقلون لمجلس الداي أو الباشا، بمثل ما حدث مع سيدي العبدلي التلمساني **(ت 1035هـ/1625م)**، الذي كان يسعى دائما على جمع الناس على كلمة واحدة، وقد قال ابن الصائم التلمساني **(كان حيا سنة 1066هـ/1656م)** في مخطوطته **"كعبة الطائفين"**، أن شيخه سيدي العبدلي توفي وهو في طريقه إلى دار السلطان بالجزائر، لتسكينه فتنة تلمسان بين أهاليها والأتراك، وللقيام بالوساطة والإصلاح بين أهالي تلمسان والحكام الأتراك، سنة **1053هـ/1625م** (ابن الصائم، (د.ت)، ص: 184/ب). كما امتدت هيبة ومكانة المصلحين الفقهاء في تلمسان لحد مساءلة قادة وحكام هذه المدينة من الأتراك العثمانيين، حيث نجد مساهمة كل من العالم ابن الصائم **(كان حيا سنة 1066هـ/1656م)**، وشيخه سيدي العبدلي **(ت 1035هـ/1625م)**، بتهدئة الأوضاع في تلمسان بين سكانها والحكام الأتراك، ووصل به الأمر أن زجر القائد التركي **"محمد بن سوري"** ووبخه في مقره بـ: **"قلعة المشور"** من جهة أخرى، حيث يقول عن الفتنة الأولى سنة **1035هـ/1625م**: "**فدخلت مع الشيخ سيدي العبدلي بعد ظهر الجمعة على الأمير- محمد بن سوري - فزجره ووعظه**" (ابن الصائم، (د.ت)، ص: 185/أ). وهو دلالة على أن ابن الصايم كان يتمتع بسلطة روحية وعليمة مرموقة في المجتمع التلمساني.

ثالثا: بيوتات الإفتاء في تلمسان خلال العهد العثماني:

ارتبط الإنتاج الفقهي في الجزائر وعند علماء تلمسان منذ العصور الوسطى بالفقه المالكي، فبطبيعة الحال أن غالبية سكان الجزائر يتبعون مذهب الإمام مالك، حتى دخول العثمانيين الذين انتشر معهم المذهب الحنفي، فظهر علماء كتبوا وأفتوا على قواعد الإمام أبي حنيفة (سعد الله، 1998، ص: 65). وإذا كانت معظم التآليف في أصول وفروع الإمام مالك، فإن ذلك لا يعني حينئذ أنه لم يكن لعلماء المذهب الحنفي تآليف وآراء، غير أننا لم نقف على علماء أو بيوتات علمية تلمسانية حنفية المذهب، وإن وُجدت مع الكثير من

البيوتات ذات الأصل التركي على ما يبدو، فإنه لم يصلنا شيء نعتد به في مجال بحثنا هذا عن أخبارها ومذهبها، بيد ذلك لا يعني أن تلمسان لم تعرف المذهب الحنفي، خاصة إذا ما علمنا أنه كانت هناك بيوتات علمية صغيرة من اصول تركية كـ: **"بيت البريكسي"**، و**"بيت آل بن صاري"**، و**"بيت باربار"**...، وغيرها من البيوتات التي قد امتهنت الفقه ودرسته في الزوايا والكتاتيب والمدارس، وذلك راجع حسب رأينا إلى عاملين اثنين: الأول: أن تلك العائلات وعلمائها لم تؤلف في المذهب الحنفي وهو المشهور. الثاني: أنها على ما يظهر لم يبق من تآليف أعلامها الفقهاء شيء يذكر.

عمومًا، فسواء كان علماء تلمسان على المذهب المالكي أو الحنفي خلال الفترة المدروسة، فإنهم كانوا كثر، ونتاجهم العلمي في كلا المذهبين، رغم الجو المحافظ الذي كان يسود الجزائر إبان هذه الفترة، فإنهم كانوا متحررين في تناولهم للمسائل الفقهية ولقضايا العصر والحياة الاجتماعية بصفة عامة (سعد الله، 1998، ص: 65).

وعلى ذكر العدد الكبير للبيوتات العلمية والفقهاء الأعلام بتلمسان، اشتهرت هذه الحاضرة العلمية منذ العصور الوسطى بعائلات تلمسانية كبرى وصغرى خدمت العلم ونَشَّطت مختلف مناحي الحياة الفكرية والعلمية، وأصبحت لها شهرة اخترقت الساحة العلمية بالجزائر إلى حواضر البلدان في المشرق والمغرب، وتواصلت حتى خلال الحقبة التاريخية الحديثة زمن العثمانيين، ومن هاته البيوت العلمية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، **"بيت ابن زاغو"**، و**"بيت المرازقة"**، و**"بيت المقارة"**، وغيرها. وهو ما أشار له العالم أبو راس الناصري **(ت 1238هـ/ 1823م)**، في كتاب رِحلته العلمية **"فتح الإله وَمنته في التحدثِ بفضل ربي ونعمته"**، لما قال: «**(...) وأما علماؤها فأولاد ابن زاغو من مغراوة والعقابنة من قرية بالأندلس والمزارقة من عجيسة أهل جبل وسلات بافريقية وأتى سلفهم لتلمسان، والمقارة من مقرة، قرية بمزاب افريقية وأولاد الامام، (...)**» (الناصري، 1986م، ص: 108).

ويتعين علينا، قبل الخوض في السياق الحضاري لتمظهرات الحركة العلمية والدينية لهذه البيوتات في مجال الإفتاء بتلمسان إبان الفترة العثمانية، أن نشير بإلماعة إلى مفهوم **"البيوتات العلمية"**، لما يمثله من خلفيات تاريخية وفكرية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالتراكمات الثقافية لهذه البيوتات.

1. تعريف البيوتات العلمية:

إن كلمة **"البيوتات"**، تدخل ضمن باب جمع الجمع: نحو **بيتٌ بُيوت بُيُوتَاتٌ، رَجُل رِجَالٌ رِجَالاتٌ** (الصيداوي، 1999، ص: 25)، ويجوز لنا استعمال بيوتات أو بيوت إذ يحتويان على المعنى نفسه تقريبًا .

والبيت العلميّ وُصلة علميّة، وعِتْرة عائليّة ممتدّة في الزّمان والمكان، تضمّ مجموعة من الأفراد العلماء المنتسبين إلى جدٍّ واحدٍ، تربط بينهم وشيجة الدّم والأصل(بومدين، 2019، ص ص: 54 ـ 75)، كان لهم أدوار علميّة وفكريّة مميّزة في فروع الفقه وعلومه بتلمسان خلال الفترة الوسيطة والحديثة وحتى المعاصرة من تاريخها الطويل والحافل، من الجد إلى الأحفاد إلى أحفاد الأحفاد، إنتاجًا، ومشاركةً، وممارسةً أصيلةً، اِخترنا نماذج منهم ما بين **962هـ/ 1554م ـ 1252هـ/ 1844م**، عبر ما هو آتٍ:

2. بيت الجاديري (962هـ/ 1554م ـ 1014هـ/ 1605م):

بيت الجاديري أحد بيوتات تلمسان الصغرى ممن مارست الفتوى وشاركت في مختلف ميادين العلوم العقلية والنقلية، لمع منهم عالمين اثنين. أولهما الوالد:

ـ أبو الحسن علي بن يحيى السلكسيني الجادِيري التلمساني (ت972هـ/1565م): الذي ترجم له صاحب **"البستان"**، ورفعه لمراتب علمية ودينية بلغت حد التقديس، وقال في شأنه أنه عالم وفقيه نوازلي (ابن مريم، 2014، ص: 128).

ـ أبو عبد الله محمد عاشور بن علي بن يحيى السلكسيني الجَادِيري التلمساني (ت 1014هـ/ 1605م): أحد علماء تلمسان النوازليين، المتوفى بعد اثنين وأربعين سنة من وفاة أبيه (Ibn Maryam, 1910, P.223).

3. بيت أبو السّادات (962هـ/ 1554م ـ 981هـ/1573م):

من بيوتات تلمسان الصغرى التي عرف منها علماء فقهاء، انقرضت أخبارهم مع مطلع القرن **11هـ/17م**، كان منهم:

ـ أبو السّادات محمد بن يحي المَذْيوني أبا السّادات التلمساني الكبير (ت950هـ/1542م): الّذي كان حتَّى هو فقيهًا، عالمًا، ووليّاً صّالحًا، ونوازليًّا شهيرًا (مجموعة من الأساتذة، 2014، ص: 441)، توفي بعد سنة **950هـ/1542م**، ودفن عند ضريح محمد بن يوسف السنوسي (ابن مريم، 2014، ص: 128).

ـ أبو السّادات محمد الصغير بن محمد بن يحي بن محمد المَدْيوني التلمساني (ت 981هـ/1573م): الفقيه العالم، النّوازلي بلا مجال، الحجّة، على حسب ما قاله فيه "ابن مريم"، على النحو التالي: "**هو الفقيه العالم، (...)، الحجة النظار الأعرف، (...)، الّذي له القدم في كل مقام ضيق، والرحب الواسع في كل مشكل مقفل (...)**" (ابن مريم، 2014، ص: 236).

4. بيت التُوجيني (962هـ/ 1554م ـ 1011هـ/1603م):

وهم أيضًا من بيوتات تلمسان الصغرى، توقف خبرهم مع مستهل القرن **11هـ/17م**، حيث كان من أبرزهم:

ـ أبو عبد الله محمد بن موسى الوَجْديجي التُوجيني التلمساني (من علماء النصف الثاني من القرن 10هـ/16م): من أكابر أولياء تلمسان وعلمائها، نهل العلم عن الشّيخ الإمام، العالم، المفتي، النّوازلي عبد الله بن جلال الوعزاني **(ت 981هـ/ 1574م)**، وله تقاييد في الفقه، وتحقيقات وشروحات في بعض النّوازل، وتوضيحات عن "**خليل على مختصر بن الحاجب**" (القاسمي، 2005، ص: 376).

دُفن أبو عبد الله محمد بن موسى بمدشر **"بني بوبلان"** قرب المنصورة بتلمسان، هو وولده عبد الرحمان الآتية ترجمته (ابن مريم، 2014، ص: 154).

ـ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن موسى الوَجْديجي التُوجيني التلمساني (ت 1011هـ/1603م): العالم المحقّق، النوازليّ المتفنّن، المحدّث، النحوي، الشاعر، أحد الّذين كانت لهم دراية بالوثائق وتحقيقها، وبالنَّوازل ورأي علماء تلمسان فيها، من مواليد سنة **929هـ/ 1523م**، بتلمسان (القاسمي، مرجع سابق، ص: 376)، شَرِبَ رحيق الفقه عن والده الشيخ محمد بن موسى الوجديجي ...، وهو الذي قال عنه **"أبو القاسم سعد الله"** أنَّه من الشّعراء الأوائل المؤيّدين للعثمانيّين في جهادهم ضد الإسبان، توفي يوم الجمعة **19** شعبان من سنة **1011هـ/1603م** (سعد الله، ، ص: 202).

5. بيت ابن زاغو (القرن 11هـ/17م):

وردت شهرة هذا البيت العلمي في الفترة الحديثة عند العالم أبو عبد الله محمد بن يوسف الزياني **(كان حيا سنة 1320هـ/ 1903م)**، في مؤلفه **"دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران"**، بما نصه: "**(...) ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد بن زاغو الصوفي**

التلمساني الذي له اليد الطولى في كل علم حتى الهندسة، وله فتاوى في الدرر المكنونة والمعيار وأولاده علماء أجلة من علماء تلمسان يقال لهم أولاد ابن زاغو" (الزياني، 2012، ص: 79). ومن علمائهم خلال القرن **11هـ/17م**، نذكر الفقيه:

ـ أبو العباس أحمد بن زاغو التلمساني (القرن 11هـ/17م): كان مفتيًا بمدينة تلمسان خلال القرن الحادي عشر الهجري، وهو الذي عرض به معاصره شاعر تلمسان سعيد المنداسي **(ت 1088هـ/ 1677م)** (لزغم، 2013 ـ 2014، ص: 366)، واصفًا إياه بأبشع الصفات، كما تحدث عما عانته تلمسان منه، واتهمه بانقياده للأتراك، وبالسكر والضلال في الدين، وأنه قد هدم دارًا للعلم (لزغم، مرجع سابق، ص: 366).

6. بيت المقري (962هـ/ 1554م ـ 1025هـ/ 1616م):

أجمعت أقلام المؤرخين أن أصول هذا البيت العلمي يعود إلى قرية **"مقرة"** الواقعة شرق الجزائر، وذكرتهم المصادر بشيء من التبجيل العلمي والديني لمكانتهم الراقية في مشارق الأرض ومغاربها. كان منهم بتلمسان عم الشهاب المقري:

ـ أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري القرشي التلمساني (ت حوالي سنة 1025هـ/ 1616م): من علماء القرن **10هـ/16م**، وبداية القرن **11هـ/17م**، مفتي تلمسان لستين سنة، وخطيب جامعها الأعظم لأكثر من خمس وأربعين سنة (اين مريم، 2014، ص: 401). درس على شيوخ تلمسان كالعالم ابن جلال التلمساني، وهو ما أورده الشهاب المقري في **"نفح الطيب"**، حيث قال: "**قلت: وحدثني العم الإمام شيخ الإسلام سيدي سعيد بن أحمد المقري رحمه الله تعالى، عن شيخه ابن جلال مفتي حضرتي فاس وتلمسان (...)**" (المقري، (ج5)، 1998، ص: 275). وفي السياق نفسه، أورد له **"البطوئي"** نازلة تقدم بها العالم سيدي محمد بن صفية العامري التلمساني **(من علماء القرن 11هـ/17م)**، من بيت **"أولاد نهار"**، إلى الفقيه **"ابن مريم"** في أمر إمرأة من تلمسان سيئة الخلق أراد الطلاق منها وهي حامل، بعدما استشار الفقيه سيدي العبدلي الذي أفتى له بالطلاق، ثم الفقيه سيدي سعيد المقري الذي أفتى له بالمثل، إلى أن وصل إلى شيخه **"ابن مريم"** الذي نصحه بالصبر عندما ذكر له قضية الحمل، وفي الآتي تفصيل لذلك: "**ومنها ما حدثني صاحبه سيدي محمد بن صفية العامري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، رضي الله عنه، وكان من تلامذة الشيخ رضي الله عنه قال: كانت لي زوجة سيئة الخلق وهي حامل فشق علي طلاقها لأجل الحمل، فشاورت سيدي العبدلي في طلاقها فقال لي: طلقها تسترح، ثم**

شاورت سيدي سعيد (المقري)، فقال لي مثل ذلك، فحين ذكرت له الحمل توقف، فشاورت سيدي محمد (ابن مريم) فقال لي: يا أخي الصبر خير لك، ومولانا يخلصك منها إن شاء الله؛ فاطمأن قلبي لكلامه؛ فلما وضعت حملها إذا به ميت؛ فحمدت الله؛ ففارقتها وقصدته بالزيارة؛ فحين رآني قال: الحمد لله رب العالمين" (البطوئي، 2000، ص: 428).

7. بيت المرازقة (962هـ/ 1554م. 1106هـ/1743م):

إذا كانت المصادر الخاصة بالفترة الوسيطة بتلمسان قد قدمت لنا مادة دسمة حول نشاط علماء بيت المرازقة وعرفت بنتاجهم العلمي والفكري، فإن مصادر الفترة الحديثة في المدينة المذكورة لم تشر لنا إلا النزر القليل بخصوص تواصل نشاطهم العلمي، وهو ما انفرد به **"حمو بن روستان التلمساني"** في مؤلفه **"تحفة الإعتبار..."**، حيث أرخ لسبعة من العلماء المرازقة بالمدينة المذكورة، إلى الدخول الفرنسي إليها سنة **1252هـ/ 1844م**، من خلال شواهد قبور أبنائهم وبناتهم التي وُجدها هذا الأخير في **"ضريح ابن مرزوق"** وقام بنشرها **"بروسلار"**. حيث قال عنها بن روستان: "**الحمد لله وقد كانوا يدفنون بروضة الشيخ ابن مرزوق أولاده وبعض أناس البلد سيأتي بيانهم**" (بن روستان، 2021، ص: 128). وممَّا جاء في شواهد قبورهم، نذكر:

- سيدي المختار بن أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م): فقيه من علماء تلمسان، عرف به في شاهد قبر ابنته السيدة فاطمة المتوفاة سنة **1034هـ/1625م**، وفي الآتي نص الشاهد: "**هذا ضريح من لاحت ولمعت عليه حلل الانوار المعروف عند أهل الاستبصار السيدة الصالحة الشريفة أمة الله فاطمة بنت الفقيه سيدي المختار نجل عالم العلماء أبي عبد الله محمد بن مرزوق توفيت عام 1034هـ/1625م**" (بن روستان، 2021، ص: 128).

- أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م): من علماء هذا البيت العلمي، ورد ذكره في شاهد قبر ابنه الشاب أحمد المتوفى يوم **20 فيفري 1647م**، على ما جاء في الشاهد الموالي: "**الحمد لله هذا قبر الشاب الأسعد أحمد بن الفقيه العالم السيد محمد بن مرزوق توفي رحمه الله أواسط محرم سبعة وخمسين وألف**" (بن روستان، 2021، ص: 128).

ـ أبو العباس أحمد بن السيد الحاج ابن مرزوق التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م): من فقهاء بيت المرازقة، واحد العلماء المغمورين الذي جاء خبره في شاهد قبر ابنه **"محمد"** المتوفى في شهر جويلية **1648م**. ونص شاهد القبر في الآتي: "**الحمد لله هذا قبر الفقيه السيد أحمد بن السيد الحاج ابن مرزوق توفي رحمه الله أوايل رجب عام ثمانية وخمسين وألف**" (بن روستان، 2021، ص: 128).

ـ أبو زيد عبد الرحمن بن مرزوق التلمساني (ت في القرن 11هـ/17م): وهو ايضا من علماء بيت المرازقة الذين ذكروا في شاهد قبر أبنائهم، وهذه المرة قبر الصبية **"شاشة"** المتوفاة سنة **1060هـ/1650م**، وفي الموالي تفصيل ذلك: "**الحمد لله هذا قبر الصبية شاشة بنت سيد عبد الرحمن بن مرزوق توفيت 1060هـ/1650م**" (بن روستان، 2021، ص: 128).

ـ أمحمد بن سيدي أحمد بن مرزوق (ت 1052هـ/1642م): وهو الفقيه **"أمحمد"** المتوفى يوم **28 جويلية من سنة 1050هـ/ 1642م**. استنادا لما ورد في شاهد قبره، في الآتي: "**الحمد لله هذا قبر سيدي امحمد بن الفقيه الأجل التالي لكتاب الله عزوجل الولي الصالح سيدي أحمد بن سيدي بن مرزوق رحمه الله في أواخر ربيع الثاني عام اثنين وخمسين وألف**" (بن روستان، 2021، ص: 129).

ـ الحفيد ابن الحفيد ابن مرزوق التلمساني (من علماء نهاية القرن 10هـ/16م وبداية القرن 11هـ/17م): وهو الفقيه الحفيد ابن الحفيد، الذي ذكرت أخباره في شاهد قبر حفيدته **"آمنة"** المتوفاة سنة **1090هـ/1679م**، بنت السيد **"محمد ابن مرزوق"**، وهو ما تم تقييده في شاهد القبر الخاص بها، على ما هو آت: "**الحمد لله هذا قبر البكر المصونة آمنة بنت المرحوم بكرم الله السيد محمد نجل الفقيه الأجل العالم الحفيد ابن الحفيد ابن مرزوق توفيت رحمها الله عام تسعين بعد الألف عرفنا الله خيره ووقانا شره بجاه سيدنا محمد وآله**" (بن روستان، 2021، ص: 129).

ـ أبو عبد الله محمد بن سيدي محمد بن مرزوق التلمساني (ت 1106هـ/1743م): من العلماء الفقهاء المرازقة، توفي سنة **1106هـ/1743م**. وهو ما تم كتابته في شاهد قبره في النص الموالي: "**الحمد لله رب العالمين هذا قبر المرحوم سيدي محمد بن المكرم سيدي محمد بن مرزوق توفي رحمه الله عليه في شهر سافر عام ستة ومائة وألف حسبنا الله وسلم على سيدنا محمد**" (بن روستان، 2021، ص: 129).

8. بيت المجاوي (النصف الأول من القرن 13هـ/19م):

سجل صاحب **"إتمام الوطر"** معلومات في غاية الأهمية تخص أصول هذا البيت العلمي، حينما أفرد الكلام بذكر انتمائهم لـ **"جبل أترارة"**، هذه المنطقة التاريخية الواقعة شمال تلمسان بمحاذاة الساحل، قد تخرجت منها الكثير من طلبة العلم الأفذاذ الذين لا يمكن حصرهم، واحتضنت نشاط علمي مكثف طيلة الفترة الحديثة بتلمسان، كان منهم أعلام بيت المجاوي، من قبيلة **"مجاو"** البربرية التي أشار لها صاحب المخطوط وهو يسرد نسب هذا المنشأ العلمي، بقوله: "**(...) والمجاوي نسبة إلى قبيلة من جبل ترارة يقال لها مجاو وأنه كان منها وانتقل والده إلى تلمسان واستوطنها (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 45/أ). وأضاف النسابة **"علي حشلاف"** في **"سلسلة الأصول"**، أن بيت المجاوي التلمساني، بيت علم وشرف، ينتمي إلى الشرفاء الحموديون، الذين منهم **"أولاد أبو زكرياء يحيى بن عمران"** من **"آل الكتاني"** الذين فروا إلى زواوة ثم رجع أحفاده لمكناسة الزيتون بالمغرب الأقصى، ثم انتقلوا إلى فاس أواسط القرن **10هـ/16م** (حشلاف، 1929، ص: 54).

. أبو عبد الله محمد بن عبد الله المجاوي التلمساني (ت 1262هـ/1854م): ولعل من بين العلماء المشار إليهم من هذه العائلة العلمية في مختلف المصادر المغربية، الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المجاوي التلمساني **(ت 1262هـ/1854م)**، الذي كانت أخباره عند صاحب **"إتمام الوطر"** كلها تجمع على أنه كان على قدر كبير من العلم، خاصة منه ما يرتبط بالعلوم الفقهية، كونه كان قاضيًا بتلمسان، وأحد فقهائها المتميزين في ميادين تحقيق وملازمة **"مختصر الشيخ خليل"**، إلى جانب اهتمامه بعلوم اللغة، وسرعة إجابته لطالب السؤال، بقول صاحب المخطوط: "**الشيخ الفقيه العالم القاضي النزيه، (...)، المنفرد بالتحفيز والتدقيق للمختصر، (...)، قاموس العلوم وكشاف المشكلات حائز قصب السبق في ميدان الفصاحة والبلاغة (...)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المجاوي (...)، سريع الجواب (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 45/أ).

وكان أبي عبد الله عالم عزيز النفس على ما أردفه صاحب المخطوط وهو يشير إلى ارتحاله لفاس في المرة الأولى التي كانت اضطرارية على ما يظهر، ليعود بعدها لتلمسان ويتصدر للتدريس وممارسة خِطتي الفتوى والقضاء مدة خمسة وعشرون سنة، اللتان تداولهما مع العالم ابن سعد اليبدري ـ السابق ترجمته ـ حتى بلغ بهما ذلك حد التنافس الذي وَلَّد

البغضاء بينهما، على ما جاء عند الزجاي الحفيد في الموالي: "**(...) عزيز النفس (...) رحل لفاس ولما عاد تصدر للتدريس بالجامع الكبير (...)، ثم الفتيا والقضاء (...)، لأنه أحب لرياسة (...)، وتداولها مع ابن سعد بتداول الأيام (...)، وتنافسا فيها حتى انقلع بينهما حبل الوداد (...)، واشتد البغض بينهما (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 46/ب). مضيفًا الكلام عن صِفاته الخَلقِية، قائلاً: "**(...) كان رجلا طويلا أسمر اللون خفيف اللحية ضخما أشيب (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 46/ب).

رابعا: علماء الإفتاء في تلمسان خلال العهد العثماني:

لم تقتصر ممارسة الفتوى أو القضاء على شيوخ وطلبة بيوتات العلم بتلمسان، فقد وجدنا الكثير من العلماء الذين تقلدوا مناصب الفتيا في ربوع هذه المدينة. وهو ما ارتأينا أن نُزين به ورقتنا البحثية هذه. على أساس الطرز المعرفي والمنهجي المؤسس على بيوغرافية الأعلام العلماء. وفق التسلسل الزمني الموالي:

ـ أبو عبد الله محمد بن شقرون بن هبة الله الوجديجي التلمساني (ت 983هـ/1575م): هو محمد شقرون بن هبة الله الزناتي التُوجيني الوَجْدِيجِي، التلمساني، وقد عرف بألقاب ألبسته ثوب العلم وهِمَّته، كـ: **"الملك الصغير"**، و**"العلامة الفقيه"**، و**"المتفنن"**، و**"المفتي"**، حين جاء أكثر من ذلك على ألسنة من زَلَفَ عنه العلم وشرب من رحيقه المختوم من العلماء، وفي طليعتهم ما حلاه به تلميذه ابن عسكر الشفشاوني في **"دوحته"**، فقال فيه: "**(...) ومنهم الشيخ الفقيه الفهامة العالم العلم العلامة شيخ الفتيا وامامها الأكبر أبو عبد الله محمد بن هبة الله (...)، كان عالم الزمان وفارس المنابر وعروس الكراسي (...)**" (الشفشاوني، 1977م، ص: 48). زيادة على أنه كان منكبًا على النوازل الفقهية ومهتمًا بها.

كانت أولى وظائفه على ما يظهر علمية دينية، فأولها كان بتوليه **"الإفتاء"** في تلمسان قبل هجرته لفاس ومراكش.

ـ أبو العباس أحمد بن عيسى الورنيدي أبركان التلمساني (ت قبل سنة 1020هـ/ 1610م): ينسب هذا العالم إلى **"قبيلة بني ورنيد"** إحدى القبائل الهلالية التي استقرت بجنوب تلمسان، وهو ولي صالح، وعالم مدرس، من أصحاب العلمين الظاهر والباطن، كما اشتهر بزهده، وورعه، ومناقبه الكثيرة، وكراماته العديدة، توفي بتلمسان قبل سنة **1020هـ/ 1610م** (القاسمي، 2005، ص: 90).

. أبو العباس أحمد الولهاصي التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م): وردت أخبار هذا العالم الفقيه عند الرحالة **"البطوئي"**، في مؤلفه **"مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح"**. والذي تقدم بطلب فتوى من عالم قرية **"ولهاصة"** أبو العباس أحمد الولهاصي التلمساني **(القرن 11هـ/17م)**، في أمر فتاة يريد كان يريد أن يسرحها بعدما خطبها وأنفق عليها مالاً، وكان هذه المرة عالم ولهاصة، إذ جاءت تفاصيل هذه القصة في معرض ترجمته لهذا العالم، وهو يقول: "**(...) ومنهم السيد الخمول صاحب المكاشفات ومعدن البركات سيدي أحمد الولهاصي رحمه الله تعالى ورضي عنه. أتيته مرة لأستشيره في تزويج امرأة قد كنت أخطبها وأنفقت في شأنها دراهم. فلما جلست بين يديه قلت له: أتيت لمشورتك. فقال قبل أن أقول له شيئا وأنا ما رأيته متاعي، قال الله يخلف لك. فقلت لا أتزوج أبدا. قال: لا، بل تنح عن هذه فقط وستأتيك أخرى إلى الدار فكان كذلك. فسبحان من نور أسرارهم وصفى أكدارهم وجعل أمثالنا كحمار السانية يدور مغلقة عيناه مكبلا محسرا(...)**" (البطوئي، 2000، ص: 142).

ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني (كان حيا سنة 1122هـ/ 1711م): جاءت ترجمته عند تلميذه أبي زيد عبد الرحمان الجامعي **(ت 1144هـ/1736م)**، في شرحه لمنظومة شيخه الموسومة بـ: **"شرح أرجوزة أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الحلفاوي"**. على أنه كان عالمًا، وفقيهًا، ونوازليًا، وناظم له اشتغال بالتاريخ من أهل تلمسان (الجامعي (د.ت)، الورقة: 46/ب)، ينتمي أغلب الظن حسب صاحب **"عمدة الراوين"** لـ: **"عائلة الحلفاوي"** التي هاجرت إلى المغرب الأقصى واستقرت هناك وانقرضت هناك حوالي سنة **1175هـ/1767م** (الرهوني، (ج3)، 2003، ص: 117). قال عنه أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسي التميمي البُوني **(ت 1139هـ/1716م)**، في ذكر جل مشايخه. في **"الدُرَة المصُونة في علماء وصلحاء بونة"**، ما نصه في الأبيات الموالية:

"إني سألت الله بالحلفاوي بفضله يعفو عن المسيي

يسقط الغيث كذا فتلته والشيخ عزوز بلا شتاته" (البُوني، 2007، ص: 104).

وقال عنه إبن ميمون **(كان حيا سنة 1110هـ/ 1710م)**، في **"التحفة المرضية"**: "**(...) مفتي تلمسان، المشار إليه بالبنان، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الحلفاوي، كان الله حيث يأوي. وهو رجل تقلد بالحضرة المذكورة الخطابة والتكلم في الإقراء والفتيا، وبلغ من رياسة الديانة إلى الدرجة العليا، ووصل من اقبال القلوب عليه وميلها إليه إلى الغاية (...)، فرأس بها في الفقه واعتمد قوله في العلم، وشوور في نوازل الحكم، (...)، وكتب على أسئلة الفتيا مغتبطا بهذا الرسم، متلقيا وارداته المختلفة الأغراض بالطلاقة والبشر، (...)**" (إبن ميمون، 1981، ص: 249. 259).

. أبو العباس سيدي أحمد الفيلالي التلمساني (كان حيا في أواخر القرن 12هـ/18م): جاء التعريف بهذا العالم التلمساني، عند صاحب **"الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"** على أنه فقيه نوازلي، له تأليف في التاريخ يتضمن مجموعة نوازل فقهية، في مقام الإشارة إلى أمر من تاب من الفرق الثمانية الضالة التي كانت تدعم الإسبان بمدينة وهران، وهم **"كرشتل"** و**"شافع"** و**"حميان"** و**"عمرة"** و**"قيزة"** و**"أولاد عبد الله"** و**"أولاد علي"** و**"الونازرة"**، الذين تحالفوا مع الإسبان، والشاهد في القصة أن فرقة منهم لجأت لحصن العدو وذهبت مع الإسبان، وفرقة لجأت للمسلمين وصارت تقاتل معهم ولكنها في الخفية تعلم العدو بأحوال المسلمين والحكم فيها أنها فرقة الزندقة يقتل من اطلع عليها، وفرقة منهم تابت وتركت الإعانة والحكم فيها أنها واحدة من جماعة المسلمين (بن سحنون، 2012، ص:36). وهو ما أفتى في حقها أبو العباس سيدي أحمد الفيلالي التلمساني **(كان حيا في أواخر القرن 12هـ/18م)**، بالقتل للفرق الثلاث، وهو ما لم يشاطره فيه أغلب علماء وقته، على ما جاء عند أحدهم في مؤلفه المذكور **"الثغر الجماني..."**. بالقول الصريح: "**(...) ولا تلتفت لمن عمم وقال باباحة المال والدم في الجميع، وهو الفقيه أبو العباس سيدي أحمد الفيلالي التلمساني في تاريخه**"(). وقال نحو ذلك المشرفي في **"بهجة الناظر"** ما نصه: "**(...) ولا تلتفت لمن عمم وقال باباحة المال والدم في الجميع وهو الفقيه أبو العباس سيدي أحمد الفيلالي التلمساني في تاريخه(...)**" (ابن سحنون، 2012، ص:36).

. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الجدّ (1226هـ/ 1818م): إن الدرجة العلمية التي اشتهر بها الزجاي الجد، داخل تلمسان وخارجها بالحواضر العلمية بالبلاد الإسلامية، أكسبته الريادة العلمية في ميادين النوازل الفقهية على ما يظهر، إذ ذكر ذلك حفيده في **"إتمام الوتر"**، بإشارة منه في ذكر عبارة

"حتى من السواحلية" التي تعني أن الفتاوى كانت تأتيه من القريب والبعيد، وهو دليل على شهرته في القرى الساحلية لمدينة تلمسان من جهة، وتمكنه في العلوم الفقهية في مختلف أصولها وفروعها من ناحية أخرى، ومن ذلك ما قاله حفيده، بقوله: "**(...) كانت تأتيه الفتاوى حتى من منطقة السواحلية (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 9/أ).

. أبو علي محمد بن مزيان التلمساني (ت 1250هـ/1842م):

ومن العلماء الذين تَرجم لهم صاحب **"إتمام الوتر"** الشيخ أبي علي محمد بن مزيان التلمساني **(ت 1250هـ/1842م)**، الذي جمع بين العلوم العقلية والنقلية، وتمكن في علم الهيئة **"الفلك"** والتوحيد **"العقائد"**، وفي ذلك قال الزجاي الحفيد: "**الشيخ أمزيان (...)، أحد العلماء الأعيان الذين انتحلوا الهيئة والتوحيد (...)، هو أبو علي محمد بن مزيان (...)**" (الزجاي، 1867، الورقة 48/ب). وتطرق أيضًا صاحب المخطوط إلى ارتحاله لفاس وعودته لتلمسان التي درس بها في الجامع الكبير، ناهيك عن دخوله في أخذ ورد مع الحكام الأتراك ببايلك الغرب، في قضية توليته لخِطة الفتوى والقضاء، سواءً في قلب المدينة بتلمسان التي لم يقلد بها هذا المنصب، أم بندرومة التي نصب بها كقاضي إلى غاية رجوعه لتلمسان وقتله من قبل الإحتلال الفرنسي سنة **1250هـ/1842م**، عقب المحاولات المتكررة والأخيرة لإحتلال مدينة تلمسان من قبل الفرنسيين، حيث جاء ذلك في المخطوطة، بالقول: "**(...)، دخل تلمسان ثم ارتحل لفاس (...)، ثم رجع لتلمسان ونوى بها الاستيطان ودرس بالجامع الكبير(...)، ثم لازم القضاء (...)، بعدما امل الداي باي وهران ان يسرع في تقليده قضاء تلمسان (...)، لكنه لم ينصب بها بل نصب بندرومة، (...)، ثم رجل لتلمسان ولم يقلد منصبه ذاك حتى قتل أيام دخول الفرنسيين لتلمسان سنة 1250هـ/1842م**" (الزجاي، 1867، الورقة 48/ب).

خاتمة:

وصفوة القول، ممَّا خلصنا إليه بناءًا على هذا العرض التاريخي الموسوم بـ: "**مؤسسات الإفتاء الرسمية وغير الرسمية وأعلامها في تلمسان خلال العهد العثماني**". تمكنا من الوقوف على جملة من النقاط الاستنتاجية المتعلقة بإحدى أهم المؤسسات الشرعية التي كان لها دور كبير في ربط وشائج الحياة الدينية والاجتماعية بتلمسان ما بين **962هـ/ 1554م. 1252هـ/ 1844م**. نسجل نتائجها بإيجاز فيما يلي:

ـ تعد مدينة تلمسان من المدن الجزائرية والمغاربية الأوفر حظًا بتواجد هؤلاء العلماء والمفتون، ومساهمتهم الرائدة في ميادين الفتوى تشهد لهم عنايتهم بالفقه وعلومه.

ـ أن الميزة التي اتصف بها علماء بيوتات تلمسان هي الاهتمام بعلم الفقه والإفتاء كخاصية ثقافية وحضارية تراكمية، مؤسسة على سلسلة شجرتهم العائلية التي أحكمت قبضتها على علوم الشريعة الإسلامية وفي مقدمتها علم الفقه.

ـ تجسد الإعتناء بعلم الفقه لدى علماء تلمسان على المشاركة الاجتماعية الممثلة في فقه النوازل الذي أصبح علم له أسسه ومناهجه بما يخدم مصلة الأمة والمجتمع. وهو ما رأيناه مع الكثير من العلماء والشيوخ المصلحون في تلمسان خلال الفترة العثمانية.

ـ إن الباحث المدقق في كتب التراجم والأنساب والفهارس، والمخطوطات التاريخية التي قيدها علماء تلمسان، سيجد كما هائلاً من الفقهاء المفتون، الذين دُونت سيرتهم ومسيرتهم في تلك المؤلفات، بفضل أدوارهم المميزة في فك كل اشكال دِيني أو دُنيوي كان يتقدم به الفرد التلمساني من عامة الناس، أم من العلماء أنفسهم، عندما لاحظنا بعض الفتاوى التي كانت تصدر لبعضهم البعض. وهذا إن دل على شيء محدد فإنه يدل على اهتمامهم الكبير بعلم الفقه والفتاوى.

ـ احتلت مدينة تلمسان مكانة راقية بين مراكز الإشعاع الفكري والثقافي في العالم الإسلامي، وذلك من خلال الحركة العلمية التي ما فتئت تُميزها وتَمتاز بها خاصة منذ العهد الزياني، وحتى العهد العثماني الذي بقيت تلك السواقي العلمية تتنامى بين علماء تلمسان، وعلى وجه التحديد منهم المنتمون لبيوتات تلمسان ذات الجذور الزيانية.

ـ ارتفعت راية العلوم الشرعية وفي مقدمتها علوم الفقه في مدينة تلمسان، حتى انعكس ذلك على التراث التلمساني الكثيف لنخبتها المثقفة في مجالات الإفتاء وإصدار النوازل الفقهية التي نقلتها لنا المصادر المعاصرة لهؤلاء العلماء، غير أن ما يمكننا قوله في هذا الجانب، هو ضياع الكثير من المؤلفات النوازلية بتلمسان على عهد العثمانيين.

قائمة المراجع:

- البطوئي عيسى بن محمد اليحيوي الراسي (كان حيا أوائل القرن 11هـ/17م)، (2000)، مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح، دراسة وتحقيق: الفكيكي حسن، منشورات طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط.
- البُونِي (أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسي التميمي ت 1139هـ/1716م)، (2007)، الدُرَة المصُونة في علماء وصلحاء بونة، تقديم وتحقيق: بوفلافة سعد، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر.
- التلمساني (أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد ابن مريم المديوني كان حيا سنة 1025هـ/1625م)، (2014)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: بوباية عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التلمساني (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري ت1041هـ/ 1631م)، (1998)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، (ج5)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر العربي، بيروت.
- التلمساني (أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري ابن الصائم الجازولي كان حيا سنة 1066هـ/1656م)، مخطوط: كعبة الطائفين وبهجة العاكفين على قصيدة حزب العارفين، مكتبة جامعة الملك سعود، يحمل رقم 01.0ق6/1760.
- التلمساني (حمو بن روستان توفي قبل 1272هـ/ 1864م)، (2021)، تحفة الاعتبار فيما وجد من الآثار بمدينة الجدار ـ جامع الكتابات الأثرية التلمسانية ـ، إشراف: بروسلار شارل، تقديم وتحقيق وتعليق: عمارة علاوة وكعوان فارس، دار الهدى للطباع والنشر والتوزيع، الجزائر.

- الحفناوي (أبو القاسم بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي ت1341هـ/ 1941م)، (1906)، تعريف الخلف برجال السلف، (ج2)، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر.

- التلمساني (أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي الحفيد كان حيا سنة 1284هـ/1867م)، (1867)، مخطوط: إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: R.D9307..

- الجامعي أبو زيد عبد الرحمان (ت 1144هـ/1736م)، مخطوط: شرح أرجوزة أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني المالكي في فتح مدينة وهران، مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، (غير مصنف).

- الرهوني (أبو العباس أحمد ت 1373هـ/ 1953م)، (2003)، عمدة الراوين في تاريخ تِطَاوِين، (ج3) تحقيق: جعفر بن الحاج السلمي، مطبعة الخليج العربي، تطوان.

- الراشدي (أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن سحنون (ت بعد 1211هـ/ 1796م)، (2012)، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.

- الزياني (أبو عبد الله محمد بن يوسف كان حيا سنة 1320هـ/ 1903م)، (2012)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.

- الشفشاوني (أبو القاسم محمد بن عسكر الحسيني ت 986هـ/ 1578م)، (1977)، دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، (ط.1).

- إبن ميمون (أبو عبد الله محمد الزواوي النجار الجزائري (كان حيا سنة 1110هـ/ 1710م)، (1981)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: بن عبد الكريم محمد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

- المشرفي (عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي الجلال الغريسي المعسكري ت 1192هـ/ 1778م)، (د.ت)، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الجزائر.

- الناصري (أبو راس محمد بن أحمد ت 1238هـ/ 1823م)، (1986م)، فتح الإله وَمنته في التحدثِ بفضل ربي ونعمته، تحقيق: الجزائري محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

- Ibn Maryam (Aboū Abdallahe Mohamed Ibn Mohamed Ibn Ahmad El Cherifs El Tilimsānī - El Melity Ele Madyoun), (1910) , El Bostan ou Jardin Des Biographies Des Saints Et Savants De Tlemcen, Tra Par: F. Provenzali, Imprimerie Orientale Fontana Frères, Alger.

- Labbe (Barges), (1859) , Tlemcen Ancienne Capitale Du Royaume De Ce Nom, Souvenir Dun Voyage, Challamel Aine Libaire, Paris.

.المراجع العربية والمُعربة:

- بومدين (محمد)، (ديسمبر 2019)، «الإسهامات العلميّة والفكريّة لنخبة البيوتات الأندلسيّة العالمة في تلمسان العثمانيّة 962هـ/ 1554م . 1280هـ/ 1808م»، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 07، العدد 18.

- البركتي (محمد عميم الإحسان)، (2002)، التعريفات الفقهية، معجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والأصوليين وغيرهم من علماء الدين رحمهم الله تعالى، دار الكتب العلمية، لبنان.

- بن حموش (مصطفى أحمد)، (2000)، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 1549م . 1830 . من واقع الأوامر السلطانية وعقود المحاكم الشرعية، دار البعث للدراسات التاريخية، الإمارات.

- حماش خليفة، (2012)، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، نوميديا للنشر والتوزيع، الجزائر.

- الحسني القاسمي (عبد المنعم)، (2005)، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر.
- دوتي (إدموند ت 1334هـ/ 1926م)، (2014)، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي في القرن التاسع عشر، ترجمة: محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
- شاوش (محمد بن رمضان)، (1995)، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- شويتايم (أرزقي)، (2009)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926 هـ . 1246 هـ/1519 م . 1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر.
- الصيداوي يوسف، (1999)، الكفاف، دار الفكر، لبنان.
- أبو القاسم (سعد الله)، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي 1500 . 1930، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- لزغم (فوزية)، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925هـ . 1246هـ/ 1520م . 1830م)، (2013 . 2014)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، غير منشورة، قسم التاريخ، تحت اشراف: بن معمر محمد، جامعة وهران.
- مجموعة من الأساتذة، (2014)، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة للكتاب، الجزائر، (د.ط).